المنصور العامري في ضوء نظرية التحدي والاستجابة لارنولد توينبي ٣٧١-٣٩٢هـ/٩٨١-١٠٠٢م

أ.م.د.غفران محمد عزيز
جامعة ميسان – كلية التربية

المنصور العامري في ضوء نظرية التحدي والاستجابة لارنولد توينبي٣٧١-٣٩٢هـ/٩٨١-١٠٠٢م

أ.م.د.غفران محمد عزيز

الملخص :

يسلط البحث على اهمية الشخصية المبدعة في تسيير الاحداث التاريخية وتغيير منهج الدولة الحاكمة وامكانية المواجهة والتصدي لكل التحديات الداخلية والخارجية بدءا من النشأة وصولا الى قيام الحضارة واستمرارها وتمثلت ايام الخلافة الاموية بالدولة العامرية التي اسسها المنصور العامري على الرغم من كل الظروف والعقبات الموجودة مما دفعني الى قراءتها في ضوء نظرية التحدي والاستجابة للفيلسوف ارنولد توينبي , متناولا في البحث مفهوم التحدي والاستجابة في اللغة والاصطلاح فضلا عن القران الكريم وصولا الى تناول النظرية عند صاحبها , بعدها تناول البحث في المبحث الاول نشاة المنصور العامري في ظل التحديات المختلفة واستخدامه لمختلف الطرق لغرض المواجهة والاستمرار في تحقيق الاهداف ورغبات الوصول ليتم الانتقال الى التحديات الداخلية والخارجية قبيل الوصول الى السلطة فضلا عن اساليب الحكم خلال مدة الحكم وطرق الاستجابة لها .

Mansour Al-Amiri
In light of Arnold Toynbee's challenge-response theory
AH / 981-1002 AD ٣٩٢-٣٧١

Prof. Dr. Ghufran Muhammad Aziz

Abstract

The research sheds light on the importance of the creative personality in the conduct of historical events and changing the approach of the ruling state and the possibility of confronting and addressing all internal and external challenges, starting from the establishment and leading to the establishment and continuity of civilization. In the light of the challenge and response theory of the philosopher Arnold Toynbee, dealing in the research with the concept of challenge and response in language and terminology as well as the Holy Qur'an leading to dealing with the theory of its owner, then the research dealt in the first topic with the emergence of Mansour Al-Amiri in light of the various challenges and his use of various

methods for the purpose of confrontation and continuing to achieve Goals and desires to reach in order to move to the internal and external challenges prior to accession to power as well as the methods of government during the term of government and ways to respond to them.

المقدمة

نتطرق في بحثنا الى شخصية اندلسية قيادية انفردت بقدرتها في مواجهة الكثير من التحديات الكبيرة التي اجتازتها وهنا نطرح تساؤل عن الاسباب التي مكنت المنصور العامري من هذا الامر خلال حكم الدولة الاموية في الاندلس من حيث القدرات والصفات الشخصية الابداعية التي ادت هذا الدور ضمن افكار توينبي في نظريته (نظرية التحدي والاستجابة).

تكمن اهمية البحث في مناقشة التحول الحضاري والطريقة التي ادت الى تاسيس دولة جديدة ضمن اسرة لاتنتمي الى البيت الحاكم وهذا التطور ونتائجه ضمن هذه النظرية , فالتحديات البشرية الداخلية والخارجية ناهيك عن الاضطرابات التي صاحبتها في نشأته ووصوله الى السلطة وكيفية مواجهته للتحدي والإصرار على الإبداع الذي اسهم في بناء الجانب الحضاري وتحقيق استمراره .

اعتبر "توينبي" أن حركة التاريخ تسير على إيقاع التحدي والاستجابة. وما هذه التحديات إلا ظروف طبيعية قاسية أو ضغوط بشرية خارجية، وامام هذه التحديات توجد استجابة ناجحة تقوم بها الأقلية المبدعة، بوصفها الفئة القادرة على عملية الخلق والإبداع وصنع الحضارات، ولذلك اعتبر توينبي أن الظروف الصعبة ــ لا السهلة ــ هي التي تستثير في الأمم قيام الحضارات، وأن الفئة المبدعة في أي مجتمع من المجتمعات هي الفئة الوحيدة التي تضطلع بمهمة صنع الحضارات، وأما عامة الناس فما عليهم إلا اقتفاء أثر المبدعين ومحاكاتهم.

يعتبر المنصور محمد بن أبي عامر من القادة الشجعان المبدعين الذين لهم الدور الكبير في التاريخ الاندلسي بعد أن ظهرت علامات الضعف في الخلافة الأموية سواءا سياسية كانت ام ادارية فضلا عن الجانب الفكري حيث ازدهرت الحياة الفكرية في مدة حكمه كونه محبا للعلم مؤثرا للأدب يكرم العلماء ويكثر مجالستهم حتى زخرت الأندلس في مدة حكمه بطائفة من العلماء والادباء والشعراء , اما بالنسبة للجانب الاقتصادي فقد ازدهرت بشكل واضح بحيث كثرت الأموال نتيجة الأجراءات التي اتبعها في هذا الجانب فكان قائدا عسكريا شجاعا فارسا قاد العديد من الحملات العسكرية ضد الممالك الاسبانية بحيث احصتها المصادر التاريخية بسبعة

وخمسون غزوة غزاها كلها بنفسه ولم يخسر في واحدة منها , وهكذا ازدهرت في ايامه العلوم والصنائع وتقدمت الزراعة والعمران وبلغت الاندلس في مدة حكمه من السعادة مبلغا لم تعرفة من قبل.

اولاً- مفهوم التحدي والإستجابة لغةً وإصطلاحاً:

١-التحدي في اللغة :

ترجع مفردة التحدي الى الفعل (حدا) كان يقول : يتحدّى فلانا، إذا كانَ يُبارِيه ويُنازِعُه الغَلَبة. وهو من هذا الأصل ، مثلما يقال أنا حُدَيَّاكَ لهذا الأمر، أي ابرُزْ لي فيه (ابن فارس ، ١٩٧٩). (تحدى) الشيء حداه وفلانا طلب مباراته في أمر (مصطفى ، الزيات ، عبد القادر ، و النجار ، د.ت) ومنه قول: كنت أتحدّى القُرّاء فأقرأ ، أي أتعمّد (الازهري ، ٢٠٠١) والمفعول مُتحدًّى , ويأتي مفهوم اتحدَّى فلانٌ فلانًا : اي غالَبه وباراهُ "تحدَّاه أن يَحُلَّ لغزًا- مثلما نقول تحدَّى الشَّعْبُ الاستعمارَ" ومن المفردة يشتق الفعل أتحدّى: الذي هو تعبير يُقصد به إنذار شخص بفعل شيء مع التّلميح إلى عدم قدرته عليه (عمر ، ٢٠٠٨).ويتلخص من ذلك: أن التحدي في اللغة يدور حول معنى السوق، والمباراة والمبارزة والمنازعة والتعمد لشيء ما .

٢-التحدي إصطلاحاً:

التحدي ياتي اصطلاحا بمعنى الازمة فالتحديات مجموعة الأزمات التي تقع في جميع المجالات (رياض، بلا)

٣-الإستجابة في اللغة:

الاستجابة لغة : تاتي من الإجابة مصدر الفعل : أجاب والإجابة رجـــع الكلام، نقول: أجابه عن ســـؤاله، ومنه: اســـتجاب الله دعاءه (ابن منظور ، د.ت) (الرازي ، د.ت). وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِي} (الفجر، الاية ٩١) وَ (جُبْتُ) الْبِلَادَ بِضَمِّ الْجِيمِ وَكَسْرِهَا مِنْ بَابِ قَالَ وَبَاعَ وَ (اجْتَبْتُهَا) قَطَعْتُهَا (الرازي ، د.ت، صفحة ٦٣) .

٤-الاستجابة اصطلاحا:

-وقد ورد للاســـتجابة تعريفات عدة بعبارات متقاربة، وإليك أبرزها :قال مجاهد "الاستجابة الطاعة" (الطبري، د.ت ، صفحة ٤٨٤ ج٣) وقال جمهور المفسرين» :المعنى: اســـتجيبوا للطاعة، وما تضمنه القرآن من أوامر ونواه (الشوكاني، ١٤١٤ ، صفحة ٣٤٢ ج ٢) -وقيل : هـــي الإجابة إلـــى ما دعاهـــم الله إليه مـــن التوحيد والعدل والنبوة وبعث الرســـل عليهم، والتزام الشـــرائع الواردة على لسان رسوله (ص) (الرازي م.، ٢٠٠٠، صفحة ٣١

ج١٩) . وقيل: المعنى» :أجيبـــوه إلى مـــا دعاكـــم من الإيمـــان به والطاعة» (الطبري، د.ت ، صفحة ٤٨٤ ج٣)[٤].الاستجابة: استجاب له، واستجابه: أي أجابه، قال الله تعالى: فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وقال تعالى: ((وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا)) (اليمني، ١٩٩٩، صفحة ١٢٢٦ ج٢) وَ (الِاسْتِجَابَةُ) بِمَعْنًى وَمِنْهُ (اسْتَجَابَ) اللَّهُ دُعَاءَهُ. وَ (الْمُجَاوَبَةُ) وَ (التَّجَاوُبُ) التَّحَاوُرُ (الرازي م.، د.ت، صفحة ٦٣) .

ثانياً-مفهوم التحدي و الإستجابة في القرآن الكريم:

برز مفهوم التحدي في القران الكريم من خلال أول مواجهة لتحدي ثقافي في زمن النبي – صلى الله عليه واله وسلم – فزعم المشركون أن باستطاعتهم أن يأتوا بمثل القرآن الكريم وزعموا أن النبي – صلى الله عليه واله وسلم – قد اختلقه فتحداهم الله أن يأتوا بمثله، وقرَّعهم بالعجز عن الإتيان– مع ما هم عليه من الأنفة والحمية– بما فيه من الآيات التي تبين أنه بلغتهم ومن جنس كلامهم فطالبهم أن يأتوا بمثله أو بمثل عشر سور منه , وتمر عليهم السنوات وتزداد الآيات وهم على عجزهم دائمون (الخالدي، د.ت ، صفحة ١٥) .

– فتحداهم أولاً أن يأتوا بمثل هذا القرآن وذلك في قوله – عز وجل –: (أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ – فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ) (سورة الطور ، الاية ٣٣-٣٤) .

– فلما لم يستطيعوا تحداهم بعشر سور من مثله وذلك في قوله – عز وجل –: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (سورة هود، الاية ١٣-١٤) .

– ثم تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة مثله وذلك في قوله – عز وجل –: (أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله) (سورة يونس ، الاية ٣٨) .

-كما كرر هذا التحدي في قوله – عز وجل –: (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) (سورة البقرة ، الاية ٢٣-٢٤) .

– فسلك الله معهم أسلوب التدرج في التحدي فثبت عجزهم عن ذلك بل تحدى الله – عز وجل – الإنس والجن مجتمعين عن أن يأتوا بمثل القرآن، وهذا في قوله – عز وجل –: (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) (سورة الاسراء ، الاية ٨٨) .

وهكذا يقرر القرآن الكريم عجز الإنس والجن عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن مهما بلغوا من العلم والمعرفة إلى يوم القيامة.

ثالثاً-مفهوم التحدي والاستجابة لدى ارنولد توينبي:

يرى توينبي أن الظروف البيئية الصعبة تستثير الطاقات وتحرك مكامن الإبداع البشري، فالتحدي يواجه باستجابة ليوّلد تفاعلاً بين البيئة والإنسان , ولهذا يرى ان الحضارة تقوم بفعل الظروف الصعبة التي تتجلى بنوعين من التحديات هما : تحدي البيئة الطبيعية القاسية , وتحدي البيئية البشرية الصعبة ويتفرع عن كل هذين التحديين الرئيسين تحديات اخرى (النجم، ٢٠١٠، صفحة ٩٨) , وكذلك اكد أكد أن البشر والمجتمعات البشرية لا يمكن أن تفهم بشكل منعزل عن بيئاتهم.

أن العلاقة بين قطبي هذه النظرية فتتخذ إحدى صور ثلاث:

أ- قصور التحدي يجعل الطرف الآخر عاجزاً عن استجابة ناجحة.

ب- التحدي البالغ الشدة يحطم روح الطرف الآخر.

ج- التحدي الذي يكون على درجة معقولة يستثير الطاقات المبدعة، فهذه وحدها الاستجابة الناجحة، ومن هنا طرح قانون «الوسط الذهبي» في نظريته، مؤكداً أن الظروف الصعبة تتحدى الإنسان فتستثير همه وقوى الإبداع لديه، وتستحثه على التحضر، وقد يكون مصدر التحدي البيئة الطبيعية أو الظروف البشرية (النجم، ٢٠١٠، الصفحات ٦١-٦٢) .

كما و يرى بعض دارسي التاريخ ان عملية النمو والنهوض تتم عبر دورة ديناميكية مميزة فالظروف التي تحيط بالإنسان تمثل تحديا وتستثير إرادته وتحركه بردود أفعال اما ان تكون ناجحة او عقيمة، وعندما يكون رد الفعل موفقا تتحقق عملية النمو والنهضة، حيث يرى توينبي: النمو يكون مميزا بتحد يقود الى رد موفق يستثير تحديا جديدا يؤدي الى رد موفق وهكذا دواليك بانتظار الانهيار. أي ان الانهيار يبدأ عندما لا يستجيب لها الفرد او المجتمع ولا يتأثر بنتائجها تأثرا عمليا وانما تتملكه حالة اللامبالاة، او يستجيب لها بشكل سلبي حيث رد الفعل يكون باتجاه التراجع او الجمود. ويضيف توينبي: أما التفكك فيكون متميزا بتحد يستجر ردا غير ناجح فيستثير محاولة أخرى تؤدي الى إخفاق جديد وهكذا دواليك بانتظار الاضمحلال (مجلة النبأ، العدد ٤٣) .

ولكون متابعة تفاصيل الكتاب كلها أمرا غير ممكن فلابد من الاجتزاء؛ لذا من الضروري عرض أفكار التحدي أو نظرية التحدي والاستجابة، وتصورات توينبي الخاصة بها، من خلال

عوامل التحدي والاستجابة واستخلاص عوامل الصعود والهبوط ، وكيف تفسر وفق نظرية التحدي والاستجابة عليه؟

يذكر توينبي أن تحول المجتمعات البدائية إلى حضارات، كان بمثابة الانتقال من حالة الركود إلى حالة (التغيير والنمو)، ، مثلما هو الحال بالشاب الذي استيقظ وبدا يكافح وهنا حاول الاخير في نظرية الاستجابة للتحديات عند المجتمعات الارتكاز على عنصري الجنس والبيئة الجغرافية في مولد الحضارات، والجنس عند توينبي هو صفات نفسية، وروحية، وحضارية في حين يدافع علماء الأجناس عن نظرية الجنس، فهم يرون أن التفوق الفكري مرتبط بلون البشرة، فيما يرى توينبي غير ذلك حيث أنه لا يؤخذ بنظرية الأجناس أي أن لا علاقة لتفوق الحضارات بلون البشر أو بنوع الجنس، بل هو مرتبط بالإنجازات التي حققها ذلك الجنس (الزيود، ٢٠١٣، صفحة مج ٤٠ ع١) .

فسّر توينبي نشوء الحضارات الأولى، من خلال نظريّــته الشهيرة الخاصة بـــ ((التحدي والإستجابة))، والتي استلهمَها من عِلم النفس السلوكي، وعلى وجه الخصوص من "كارل يونغ ١٨٧٥ – ١٩٦١م" الذي يقول أنّ الفرد الذي يتعرض لصدمة قد يفقد توازنه لفترةٍ ما، ثم قد يستجيب لها بنوعين من الإستجابة:

١. **إستجابة سلبية:** النكوص إلى الماضي لاستعادته والتمسك به تعويضاً عن واقعه المُرّ، فيصبح إنطوائيّاً.
٢. **إستجابة إيجابية:** تَــقَــبُّــل الصدمة والإعتراف بها، ثم مُحاولة التغلُّب عليها، فيكون في هذه الحالة إنبساطيّاً.

ويبدو ان الحضارة التي تنهض بفعل الفئة المبدعة انما جاءت بفعل شخصيات اتسمت بصفات نوعية استطاعت ان تنقل هذا المجموعة الى الحالة الابداعية فحققت الطموحات التي تريدها وبالتالي افادت الحضارة وطورتها , ومن هذا الباب وجدت ان شخصية المنصور العامري كان على راس هذه الفئة خلال المدة المدروسة بما حققه من نقلة مهمة في كافة الميادين.

المبحث الثاني

النشأة ودورها في بناء الشخصية المبدعة

اولاً : الاسم والثقافة :

الشخصية المبدعة تاتي من عوامل التنشاة المختلفة ومن هذا نسلط الضوء على بئته واثرها في بناء هذه الشخصية :

أسمه : هو أبو عامر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر محمد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري (الابار، ١٩٩٣، صفحة ٢٤٨ ج١) (بشكوال، ١٩٥٥، صفحة ٣٥٩ ج١) (الخطيب، ٢٠٠٤ ، صفحة ٥٩ ق٢) ينتسب الى قبيلة معافر اليمنيه القحطانية (القلقشندي، د.ت، صفحة ٤٢٣) ويذكر ان أصله: من الجزيرة الخضراء ((مدينة مشهورة بالاندلس تقع مقابل مدينة سبتة المغربية)) (الحموي، د.ت ، صفحة ٥٥ ج٣) ، من قرية طرش او تركش التي تقع على نهر وادي أروا (الضبي، ١٩٨٩) (المراكشي، ١٩٤٩، صفحة ٢٨)، ويقال انه من شلب، البرتغال حالياً (مؤنس، ٢٠٠٤، صفحة ٣٩١) .

تكونت شخصية محمد بن ابي عامر من عوامل ذاتية واخرى مكتسبة من بيئته فكانت :

١- الصفات (الذاتية) الشخصية : تميز محمد بن ابي عامر في حداثة عمره انه طموحاً ذا همة عالية ويتوقع لنفسه مستقبلا عظيماً (عنان، ١٩٤٧، صفحة ١٨٣) .

٢- الصفات المكتسبة : كان والده عالماً بالحديث والشريعة وسمع الحديث وكتبه عن محمد بن عمر بن لبانة ومحمد بن فطيس ورحل إلى المشرق وأدى فريضة الحج (الابار، ١٩٩٣، صفحة ٢٩٨ ج٢) (التجاني، ١٩٨٥، صفحة ٥٧) ليتم دراسته بجامع قرطبة ويسلك سبيل القضاء في اول الامر مقتفياً أثار عمومته وخولته ، درس اللغة والأدب على أبي القالي البغدادي وابن أبي بكر بن القوطية ودرس الحديث على يد ابي بكر بن معاوية القرشي (ابن عذارى ، ١٩٨٧، صفحة ٣٨٣ ج٢) ، وكان له مجلس معروف في الأسبوع يجمع فيه اهل العلوم للكلام فيها بحضرته (الضبي، ١٩٨٩، صفحة ١٠٩) وساعده على تنمية مواهبه كثرة العلماء من حوله وعناية أهل العصر بالعلم والعلماء .

يظهر من السابق توافر الاسباب الرئيسة في تكوين شخصية ادارية وعلمية مبدعة كان لها الاثر البارز في في تطور الجانب الحضاري , وكما يرى توينبي بان العامل الاساسي لنشوء الحضارات هو الدين والذي يبدا بشخصيات مبدعة تثقفت دينيا فالحضارة الاسلامية قامت على

اساس الشريعة الاسلامية وطبعت بطابعها الخاص كل المنجزات المادية والفكرية (النجم، ٢٠١٠، الصفحات ٨٢-٨٣) .

وهنا يمكن ان نجد اهتمام المنصور بتهيئة نفسه من كل الجوانب المعرفية بكيفية فعل الفرد المبدع لدى توينبي الذي يصف حركته بالمزدوجة بغية الوصول الى الاستنارة . (نيفين، ١٩٩١، صفحة ١٢٧)

ثانياً- تحديات الوصول :

اشار توينبي الى ان الحضارة لاتنشأ في ظروف سهلة انما هي على النقيض تنشأ في ظروف صعبة تخلق للانسان تحديا وهذا التحدي يسفر عن استجابة تتفاوت حسب الاجيال (توينبي، ٢٠١١) .

سعى محمد بن ابي عامر في الوصول الى المراتب العليا في السلطة لتحقيق الطموحات الابداعية فهو لم ياتِ قرطبة بنية التعلم والعودة من دون الوصول الى الطموح والاهداف التي يرغبها فعمل في مهنة كاتب رسائل في فترة بداية خروجه إلى الحياة العامة (الخطيب، ٢٠٠٤ ، صفحة ٥٩) (المقري ، ١٩٠٠، صفحة ٣٩٩ ج١) وهي الطريق نفسها التي اختارها والده من قبل، وقد اختار دكانه ليكتب فيها العرض للخدم والمترافعين إلى الخليفة أمام باب قصر (الحكم المستنصر) .

حظي بإعجاب خدم القصر لبراعته في كتابة الشكاوى ، بأسلوب شيق، فبذلك وطد علاقته بمن في القصر ونال ثقة الجميع ويورد ابن عذارى روايات مختلفة في بداية اتصال ابن ابي عامر بقصر الخلافة إذ إن الخليفة المستنصر أراد أن يعين مراقبا لإملاك ابنه عبد الرحمن فاشار اليه الحاجب جعفر المصحفي من بين المرشحين لتولي هذا المنصب بعد أن سمع عن نجابته وقدراته في الكتابة (ابن عذارى ، ١٩٨٧، الصفحات ٢٦٨-٢٦٩ ج٢) .

كان الحكم قد ارتبط بعلاقة مع جارية اسمها أورورا Aurora، وأطلق عليها اسم هيج وهي باسكاوية الأصل (بشكنسية الاصل من اقليم الباسك في شمال اسبانيا قيل لها صبح وكان يطلق عليها الخليفة اسم جعفر) ، وأصبحت بعدها الشخصية القوية في القصر، وقد أنجبت الخليفة الحكم عبد الرحمن الذي توفي صغيرا ثم ما لبثت أن أنجبت ولد ثاني هو هشام بن المستنصر الذي ولد سنة (٣٥٤هـ/١٩٦٥م)، وولي العهد والخلافة فيما بعد " فعظم استبشاره به وسروره بموهبة الله فيه" (ابن عذارى ، ١٩٨٧، الصفحات ٢٥٢-٢٥٣ ج٢) (الخطيب، ٢٠٠٤ ، صفحة ٤٣) والسيدة صبح تصفها المراجع المعاصرة (بالجارية أو المحظية)

وترجمة اسمها (Aurora) بالفرنسية هو الفجر أو الصباح الباكر " وهو الاسم النصراني الذي كانت تحمله صبح فيما يظهر" .

ان الولوج الى القصر والقفز الى الحاشية الحاكمة لم يكن تحديا سهلاً في ظل وجود الكثيرمن القوى المسيطرة والمؤثرة في هذا المكان , مما جعل ابن ابي عامر يختار الموقع المناسب والطريقة المناسبة في التقرب الى السيدة صبح البشكنسية التي كان لها الدور الاكبر ببروز نجمه وترقيته إلى المناصب العليا في الدولة حيث فتحت أمامه سبل الارتقاء لتحقيق طموحه الكبير . (ابن عذارى ، ١٩٨٧، الصفحات ٢٦٨-٢٦٩ ج٢) . وهنا يكمن الابداع واختيار الطريق الصحيح لتحقيق الاهداف المرغوبة .

يبدو ان عملية الوصول لرضى السيدة او بالاحرى الوصول الى قلبها لم يكن عفويا بقدر ما كان عن تخطيط ومعرفة لهذه الشخصية, خاصة انها استأثرت بكل نفوذ ورأي لدى الخليفة وساسة القصر بعد أن أنجبت ولي العهد هشام ، ولم تكن جارية أو محظية بل ملكة حقيقية غير متوجة . حيث يطلق عليها (السيدة صبح أم المؤيد) (ابن بسام ، ١٩٤٩، صفحة ٤٣ ج١ ق٢) (ابن عذارى ، ١٩٨٧، الصفحات ٢٦٧-٢٨٢ ج٢) وتصفها كتب التاريخ الإفرنجية (بالسلطانة صبح) (Dosy, 1932, pp. 190-195 V11) لذلك حقق ابن ابي عامر الاستجابة لهذا التحدي الداخلي الامر الذي جعل السيدة الحاكمة الرائعة الجمال تحت تصرف هذا الشاب الطموح الذي اغدق عليها حبه، وعطفه، (ابن عذارى ، ١٩٨٧، الصفحات ٢٥١-٢٥٣ ج٢) ويمكن القول ان السيدة الحاكمة الباسكية الاصل التي وصلت للقصر بحكم المصاهرة كانت جزءا من الفئة الابداعية المؤثرة التي اسهمت بشكل او باخر في اختيار وتقريب هذا الشاب الطموح وايصاله الى السلطة , بمعنى اخر ان الاختلاف الحضاري الذي صار موجودا في القصر انعكس على الحكم .

ناتي الان الى الخطوات التي عملها ابن ابي عامر للتقرب الى السيدة الحاكمة من خلال التقرب الى الشخصية الاولى التي عينت بامر منها وهو الحاجب جعفر المصحفي الذي امر بتوليته مشرفا على أملاك ولد الخليفة هشام وهو الولد الثاني للحكم من محظيته السيدة صبح، وكان لذكائه ونجابته دور كبير في لفت نظر السيدة صبح منذ دخوله البلاط وهو في السابع والعشرين من العمر ، حينما أراد الخليفة الحكم أن يعينه مشرفا لإدارة أملاك ولده عبدالرحمن (الذي توفي لاحقا) لذلك رشحه الحاجب جعفر لتولي هذا المنصب (المقري ، ١٩٠٠، صفحة ١٨٧ ج١).

تعرفت السيدة صبح إلى محمد بن أبي عامر من بعض خدم القصر والمرافقين للسلطان (فعرفها به بعض من كان يأنس الجلوس إليه من فتيان القصر فاستحسنت كتابته وعينته أمينا لبعض شؤونها) (المقري ، ١٩٠٠، صفحة ١٨٧ ج١) ، ثم ازداد إعجابها به وبذكائه وحسن روائه وظرف شمائله (ابن عذارى ، ١٩٨٧، صفحة ٢٩٧ ج٢) وبهذا صار محبوبا فختارته مشرفا لإدارة أملاك هشام بعد وفاة أخيه عبد الرحمن، وبالغ المنصور في إتحاف السيدة صبح ومهاداتها ، ومن في القصر من حريم " كانت حاله عند الجميع بتصديه لمواقع الإدارة، ومبالغته في تأدية طبق الخدمة" (المقري ، ١٩٠٠، صفحة ٩٧ ج٣) . كان ابن أبي عامر شاعرا مفوها، شعره رقيق وهو القائل :

سألت نجوم الليل : هل ينقضي الدجي؟ فخطت جوابا بالثريا كخط لا!
وكنت أرى أني بآخر ليلة فأطرق حتى خلته عاد أولا
وما عن هوى سامرتها، غير أنني أنافسها المجرى إلى رتب العلا (المقري ، ١٩٠٠، صفحة ١٠٧ ج٣)

استغل محمد بن أبي عامر وجوده في القصر أحسن استغلال وهو العارف بأن أفضل وسيلة للوصول إلى قلب سيدة القصر (تقديم الهدايا) فأغدق عليها الهدايا (كصنعه قصر من فضه للسيدة صبح). حتى روي ان الحكم قال : (إن هذا الفتى قد قلب عقول حرمنا، بما يتحفهن به) (المقري ، ١٩٠٠، صفحة ٨٨ ج٣) (ابن عذارى ، ١٩٨٧، الصفحات ٢٠١-٢٠٧ ج٢) .

ويتبادر إلى الذهن ماهية العلاقة بين السيدة صبح ومحمد بن أبي عامر، فالسيدة كانت امرأة حسناء، لا تزال في زهرة العمر، وكان سيدها "الحكم" قد أشرف على الستين من العمر وقد هدمه الإعياء والمرض، في حين كان محمد بن أبي عامر فتى في نضرة الشباب، وسيم المحيا، حسن القدر والتكوين، سامر الحلال)، وكان يتفاني في خدمة السيدة صبح وإرضائها لذلك آثار الحكم وتساؤله بقوله: (ما الذي استلطف به هذا الفتى حرمنا حتى ملك قلبها، إنه لساحر عظيم، أو خادم نبيل، واني خائف على ما بيده) (ابن عذارى ، ١٩٨٧، صفحة ٢٧ ج٢) .

وهذا ما آثار الشك في ماهية هذه العلاقة بين السيدة صبح وابن أبي عامر حتى ذاعت وغدت حديث أهل قرطبة إلا أن هذه العلاقة بينهما لم تتعد حدود الأدب، وقد أشارت بعض المصادر إلى الشك في أنه كان عشيقها وان العلاقة بينهما غرامية (ابن عذارى ، ١٩٨٧،

صفحة ٢٤٨ ج٢)" سار محمد بن أبي عامر إلى غايته بسرعة مدهشة، واستطاع بعزمه وصرامته في الاعتلاء بوظائف الدولة ، فأضيف إلى مهامه النظر على الخزانة العامة ثم على أمانة دار السكة ثم عين للنظر في خطة المواريث ثم عين في العام (٣٥٨هـ/٩٦٩ م) قاضي الكورة أشبيلية ومدير للشرطة الوسطى عام (٣٦١هـ/٩٧٢م) ليعينه الحكم قبل وفاته " ناظرة على الجيش العام". وفي مدة قصيرة، استطاع محمد بن أبي عامر أن يصل إلى أرفع وظائف الدولة في القصر، وصار حلقة الوصل بين الأمير الأموي ووزرائه، وقوي أمره، ونفذت كلمته في القصر (المقري ، ١٩٠٠)، ولما ارتاب الخليفة بذلك وسعى بعض الخصوم لإبعاده واتهامه بتبديد الأموال العامة فطالبه الحكم بالكشف وكانت الخزانة في عجز فلجأ إلى صديقه الوزير ابن جدير وكان غنيا فأعانه على العجز وقدم الأموال إلى الخليفة كاملة فزال شكه وازدادت ثقته به، وكان يستغل العلاقة مع السيدة صبح لصالحه فبدأ بالصعود إلى رتب بالوزارة وجعله معاون للحاجب (ابن بسام ، ١٩٤٩، صفحة ٤٢٤ ج١ ق٤) (ابن عذارى ، ١٩٨٧، صفحة ٢٧٥ ج٢)، فبدأ الصراع بين المنصور والحاجب جعفر وذلك استنادا إلى بعض الاشارات والتنويهات التي أبداها المؤرخون على الرغم من أنه استحوذ على اهتمام عامة النساء في القصر وبموت الحكم (الحجي، د.ت، صفحة ٣٠٩) وتولي ولده هشام الخلافة، وهو لم يتجاوز إحدى عشرة سنة، تبدلت الأحوال في الأندلس ، وأدت الأمور والأحداث إلى بروز المنصور إذ لم يكن باستطاعة هشام اليافع النهوض بأمور الدولة وهو غير قادر على رعاية شؤونها .

يبدو ان خطوات المنصور في تحقيق تلك الخطوات جسدت الطاقة الكامنة لغرض التحقيق الذاتي كما يقول توينبي ((... **ان الشخصية النامية او الحضارة تسعى الى ان تصير هي نفسها بيئة نفسها وتحديا لنفسها , ومجال عمل لنفسها**)) (النجم، ٢٠١٠، صفحة ١٠٥) .

ثالثاً :الاضطرابات وقيام الحضارة العامرية

يرى توينبي اهمية اوقات الاضطراب او ما تسمى بالفترة الفوضوية التي تسهم في ولادة حضارة جديدة تخرج من رحم الحضارة السابقة (النجم، ٢٠١٠، الصفحات ٨٦-٨٧) وبالفعل فان الاضطرابات والانقسامات التي حصلت بعد وفاة الحكم اسهمت بفسح المجال للمنصور لتحقيق طموحاته وبناء الحضارة العامرية .

انقسم القصر بعد وفاة الحكم إلى معسكرين: - المحور الأول : معسكر الصقالبة بزعامة فائق وجوذر اللذان يرغبان بتولية اخيه المغيرة بن عبد الرحمن لان ابنه صغير السن

ولايقدر على الحكم ، أما المحور الثاني: فتحالف فيه محمد بن أبي عامر والحاجب جعفر (ابن بسام ، ١٩٤٩، الصفحات ٤٠-٤١ ق٤ مج١) (ابن عذارى ، ١٩٨٧، الصفحات ٢٧٨-٢٨٠ ج٢)وبدعم أم هشام السيدة صبح وهم يرغبون بالابقاء على الوصية بالخلافة للابن القاصر لغرض السيطرة على زمام الامور وتحقيق الاهداف السلطوية . وبالفعل اسرع كلا من المصحفي وابن أبي عامر بالفتك بالمغيرة بن عبد الرحمن على يد محمد بن أبي عامر وذلك بممالأة جعفر بن عثمان المصحفي حاجب أخيه" (ابن خلدون ، د.ت ، صفحة ٣١٨ ج٤). ثم العمل على مقارعة الصقالبة (المسيطرين على القصر والجيش) فقد اجتمع المصحفي وابن أبي عامر للقضاء على نفوذهم ، ولكل منهما أسبابه ودوافعه فالمصحفي من محترفي السياسة، وكان بحكم منصبه وتأييد عصبته مسيطرة على السلطة العليا. في حين كان محمد بن أبي عامر له طموحه الخاص فرأى في تولية هشام ضمانا لاستمرار مصالحه في الحكم وتزعم هذه الفئة من أعضاء مجلس الوصاية وكبار موظفي القصر (ابن بسام ، ١٩٤٩، صفحة ٣٩ ج١) .

قام المنصور بعدة اجراءات حاول خلالها كسب العامة من الناس فهو عمل على إرضاء العامة من أهل الأندلس بأساليب عديدة منها ضبط المدينة ضبطا أنسى أهل الحضرة من سلف من أفراد الكفاءة وأولى السياسة وقد كانوا قبله في بلاء عظيم، يتحارسون الليل كله، ويكابدون من روعة إطراقه ما لا يكاد أهل الثغور من العدو، فكشف الله ذلك عنهم بالمنصور وكفايته (ابن عذارى ، ١٩٨٧، صفحة ٢٥٨ ج٢) ، وحرص على أن يضيف إلى أعماله نوعا من الشرعية المدعمة بفتوى الفقهاء، إلا أنه كان وافر الجود والبذل يغدق صلاته على من يستحقها من العاملين والمتصلين به من الفقراء وذوي العاهات.

رابعا-التحديات الداخلية التي واجهت المنصور قبل وصوله للسلطة وطرق استجابته لها:

-التحديات الداخلية تمثلت بـــــــ :

١-الصقالبة:

ظهرت تلك التحديات بعد وفاة الخليفة احتدم الصراع بين رجال الدولة لاختلاف مصالحهم السياسية وعلاقاتهم الخاصة فكانوا معسكرين الاول حول هشام وتمثل بجعفر بن عثمان المصحفي ومحمد بن ابي عامر وغالب بن عبد الرحمن مولى الحكم وحاكم مدينة سالم الى جانب والدة هشام السيدة صبح وكانوا الحكام الفعليين للدولة (المقري ، ١٩٠٠) .

اما المعسكر الثاني فتمثل بمعسكر الصقالبة بزعامة فائق وجوذر (ابن خلدون , العبر , ج٤ , ص ٣١٨ , ويقول المقري : ((انه بعد وفاة الحكم اراد الجيش والصقالبة

المجودين بحماية الخليفة والقصر تبديل الوصية ونقض البيعة وتولية المغيرة بن عبد الرحمن وقد ناهز عمره ٢٧ سنة بدلا من ابنه القاصر هشام)) (المقري ، ١٩٠٠) ، فالصقالبة رفضوا تنصيب هشام لصغر سنه وعجزه عن القيام بأعباء الحكم، ووقع اختيارهم على عمه المغيرة بن عبد الرحمن الناصر (ابن عذارى ، ١٩٨٧، الصفحات ٢٨٠-٢٨١ ج٢) (ابن بسام ، ١٩٤٩، صفحة ٤ ق٤ ج١) لتجربته السياسية والإدارية ولغرض ابقائهم في مناصبهم ونفوذهم لأبسط فاشتد. طغيانهم على الشعب إلا أن المصحفي وبعد علمه بوفاة المستنصر ومشروع تولية المغيرة جمع قواده وأجناده ، فنعى إليهم الحكم وعرفهم مقصد جوذر وفائق في إبعاد هشام، وتولى المغيرة الحكم، فبادر المصحفي على ضوء ذلك بإتفاق محمد بن أبي عامر مع طائفة من الجند إلى دار المغيرة لقتله، لكن بعد أن علم المغيرة بجلوس ابن أخيه في الخلافة قال : " أنا سمعا وطاعة" .

كان التخلص من المغيرة وتولية هشام الصغير فتحا للطريق امام طموح ابن ابي عامر ولهذا التقت تلك الاهداف مع رغبة المصحفي، فما كان إلا أن أرسل جنوده للقبض عليه، عندها قام محمد بن أبي عامر بقتله خنقا (ابن عذارى ، ١٩٨٧، صفحة ٢٤١ ج١) (ابن خلدون ، د.ت ، صفحة ١٤٧ ج٤) أمام زوجته فلما قتل المغيرة واستوثق الأمر لهشام لإدارة الحكم. وكان هدف كلا من المصحفي وابن أبي عامر وغالب على تنفيذ وصية الخليفة التي جاءت بما ينسجم مع رغباتهم وغاياتهم (ابن بسام ، ١٩٤٩، الصفحات ٤٠-٤١ ق٤ ج١) .

وبالفعل كان محمد بن ابي عامر ابعد هدفا من الجميع اذ كان التحدي الاساس هو السيطرة على السلطة كلها بحيث استعمل كل الطرق لمواجهة كل منافس على حدة وهو ما بدا تحقيقه مع المغيرة والذي جاء بما ينسجم مع تطلعات المصحفي السلطوية (ابن بسام ، ١٩٤٩، الصفحات ٤٠-٤١ ق٤ ج١) .

وبعدها جمع المصحفي الشخصيات التي تؤازره ومنهم (زياد بن مفلح ومولى الحكم وقاسم بن محمد، ومحمد بن أبي عامر، وهشام بن محمد بن عثمان وغيرهم) واستدعى بنى برزال إذ كانوا بطانته واستحضر سائر قواده وقال لهم: أن حبسنا الدولة على هشام أمنا على أنفسنا وصارت الدنيا في أيدينا، وان انتقلت الى المغيرة استبد بنا (ابن عذارى ، ١٩٨٧، صفحة ٢٩٠ ج٢) .

وكان الصقالبة يمتلكون قوة كبيرة في قصر الخليفة قد تستخدم للانقلاب على الخليفة الجديد ولكن بعد مقتل المغيرة لم يجد الصقالبة بدا من الطاعة والتظاهر بها ومواصلة المشروع الذي كانوا يعدونه لاعادة سطوتهم وهيبتهم في البلاد، ومع كشف خيوط هذه المؤامرة بدأ المصحفي يتحوط من غدرهم، ويقول ابن خلدون عن المنصور "أول ما بدأ بالصقالبة الخدم بالقصر، فحمل الحاجب المصحفي على نكبتهم وإخراجهم من القصر، فوضع زعماءهم تحت الرقابة الشديدة، وسرح أعدادا كبيرة وألحق بعضهم بخدمة محمد بن أبي عامر، وكانت من الأخطاء القاتلة التي ارتكبها المصحفي" (ابن خلدون ، د.ت ، صفحة ١٤٧ ج٤) .

٢-الحاجب المصحفي:

بعد القضاء على الصقالبة أي ابن أبي عامر أولى الخطوات التي عليه القيام بها للسيطرة على السلطة هي القضاء على الحاجب المصحفي أقوى الشخصيات السياسية في قرطبة بعد وفاة الحكم المستنصر وكانت بداية ابن أبي عامر للإيقاع بالمصحفي واستغلاله لنكبة الصقالبة فقد أغرى المصحفي بنكبتهم ثم ألحقهم بحاشية ابن أبي عامر الذي بالغ في إكرامهم، ثم استمال برزال وكانوا ضمن بطانة المصحفي، ولم يكن المصحفي ليعي أبعاد هذه السياسية التي جردته من أنصاره وحماته وعد هذا العمل حسنة بعد أن ثقلت مطالب أنصار المصحفي المالية عليه.

والمعروف عن الحاجب شهرته بالبخل والتقتير على أتباعه وهو على عكس ابن أبي عامر المشهور بالجود والكرم وقد بسط كرمه على أنصاره فأصبحوا أداته لتحقيق أهدافه ، ثم لجأ إلى "السيدة صبح " أم هشام لتوطيد سلطته لدي جعفر المصحفي فلقي الاستجابة التي يرتجيها.

في هذا الوقت كان محمد بن أبي عامر بالمرصاد للحاجب المصحفي مستغلا علاقته بسيدة القصر ومقلبا عليه وزراءه وأتباعه " يمكر به، يضرب عليه، ويناقضه في أكثر الكثير من المعاملات مع الناس ويقضي حوائجهم" فمال الوزراء إليه وسعى في ترقيتهم وأخذهم بالعصبية فيه (ابن بسام ، ١٩٤٩، الصفحات ٤٤-٤٥ ق٤ ج١) .

ثم جاءت حادثة قشتاله بعد وفاة الحكم المستنصر، فقد شنت قشتالة هجومية على الأراضي الإسلامية في الأندلس، مستغلة الصراع على النفوذ والسلطة بين أعوان الخليفة الحكم وهاجمت قلعة "رباح"، مما أثار هذا الهجوم القلق لدى أهل قرطبة لقرب القلعة من عاصمة الدولة، كما أثار قلق السيدة صبح التي خشيت على عرش ابنها الفتي من الضياع ، في الوقت الذي لم تحرك الغارة مشاعر الحاجب جعفر وهو المسؤول الأول عن الدولة وأمنها، حيث تجاهلها ريما خشيته من مغادرة العاصمة في تلك الأجواء الملبدة في البلدة , وهنا برز محمد بن

أبي عامر، حيث وعد السيدة صبح بمواجهة الأخطار الخارجية على أن تمده بالوسائل الضرورية للقتال والجهاد، فعكست سياسة الجهاد في الأندلس ظلالها الايجابية على شخصية المنصور العامري حينها (بيضون، ١٩٨٧، الصفحات ٣٤٤-٣٤٧)

ومما يلفت النظر هو دور غالب بن عبد الرحمن من هذه الأحداث وهو القائد المتمرس في شؤون القتال وفارس الأندلس، فغيابه عن مسرح الأحداث في التصدي للهجوم القشتالي كان بالتنسيق مع محمد بن أبي عامر أو لأسباب ودوافع أخرى.

فالمرجح أن غالبا لم يكن في صميم لعبة الصراع على السلطة والتي اتخذت قرطبة مسرحا لها، وان كان بينه وبين المصحفي أشد مما كان بين اثنين من العداوة والتقاطع، فقد كان المصحفي يخشى غالبا كثيرا، وغالب يزدريه ويمقته ولا يراه أهلا للمنصب الرفيع الذي يشغله، وكان يرى نفسه وهو الذي حاز النصر في مختلف الميادين أولى بمنصب الحجابة من الرجل الذي لم يجرد حسامة ولم يقصد جيشة، وإن لم يكن هذا هو الدافع الغالب لعدم تحركه، فالمؤكد إن جبهة الثغر الأعلى عند حدود نبره وهي دائرة نشاطه العسكري تعد من مناطق الحدود الساخنة والخطيرة، بحيث يصرف كل اهتمامه لها في ذلك الوقت (بيضون، ١٩٨٧، صفحة ٣٤٦) وكان المصحفى من أصحاب الرأي القائل بالتروي في معالجة أحداث الشمال وما رافقها من دمار لقلعة رباح، إلا أنه رضخ إلى طلب عقد مجلس الحرب بإيعاز من ابن أبي عامر واختيار أفضل المقاتلين وتجهيزه بأفضل الأسلحة والعتاد وبمباركة السيدة صبح، وخرج على رأس حملة سنة (٣٦٦ هـ/ ٩٧٧ م)، منفذا بذلك تجربته الأولى على مستوى القيادة ، واتخذت حملته طابعة انتقامية مستهدفة المملكة القشتالية محاصرة حصن الحمامة داخل إقليم سلمنقه فدمره وحاز على غنائم كثيرة، بما فيها الأسرى وعاد محملا على الأكتاف إلى قرطبة (ابن بسام ، ١٩٤٩، صفحة ٣٩ ج١) (ابن عذارى ، ١٩٨٧، صفحة ٢٤٧ ج٢) .

وقد جعل من حملته انتصارا باهرا قوبل بارتياح كبير وإعجاب قرطبة وبقية الأندلس. وكشفت هذه الحملة عن مواهب ابن أبي عامر العسكرية وزادت شعبيته في قرطبة، وكان المصحفي هو الخاسر الأكبر لانتصار ابن أبي عامر وقد بدأ يشعر بأفول نجمه وتراجع نفوذه، وهذا ما يشير إليه المقري بقوله "فجاشت الروم فجهز المصحفي ابن أبي عامر لدفاعهم فنصره الله عليهم وتمكن من قلوب الناس" (المقري ، ١٩٠٠، صفحة ٣٩٩ ج١) وبذلك ارتفعت وتيرة الصراع بين ابن أبي عامر والمصحفي فالحاجب جعفر مازال مستأثراً بالسيطرة على المناصب

الهامة والحساسة من خلال أبنائه وأقربائه وامتلاكه للأمور وهي ظاهرة هامة لاكتساب الأعوان وشراء الأنصار .

كذلك اتهم غالب بالتباطؤ في الدفاع عن الحدود الشمالية أثناء الهجوم القشتالي على قلعة رباح لكونه يتمتع بحرية الحركة، وله سلطة مطلقة على قوات الثغور، فعانى غالب من لوم المصحفي له واتهمه بالتخاذل (ابن بسام ، ١٩٤٩، الصفحات ٤٣-٤٤ ج١) (ابن عذارى ، ١٩٨٧، صفحة ٣٤٥ ج٢) في هذا الوقت انبرى ابن أبي عامر للدفاع عن غالب في القصر مبررا موقفه من حادثة قلعة رباح، وأقنع الخليفة بدفاعه عنها فمنح غالبا لقب (ذي الوزارتين) (ابن عذارى ، ١٩٨٧، صفحة ٢٩٧ ج٢) ، وبهذا قدم محمد بن أبي عامر في سفره هذا خدمة لأهدافه فمال إليه غالب بكليته (ابن عذارى ، ١٩٨٧، صفحة ٢٤٧ ج٢) ، وبذلك خسر المصحفي رجلا كان على الحياد وأصبح حليفا ونصيرا قويا يشد عضد ابن أبي عامر في صراعه الخفي مع المصحفي، وأن القائد غالبا أصبح يحمل لقب (ذي الوزارتين) إلى جانب قيادته لجيش الثغور . في حين ندب ابن أبي عامر لقيادة جيش الحضرة، ثم كانت غزوة ابن أبي عامر الثانية بالاشتراك مع غالب، وكان له طريقته في استدراج أعدائه واحدا بعد الآخر.

وكان للمنصور طريقة ذكية في التخلص من خصومه وهنا تكمن الاستجابة التي تحقق نتائج ايجابية فإذا كشف أحدهم بعداوته له ، بالغ التقرب منه ، وهذه كانت طريقة المنصور في العلاقة بين المصحفي وغالب وهي تدل على البراعة والدهاء وسعة الحيلة فهو يريد هدم المصحفي وغالب معا، ويقول ابن خلدون:" ثم أظهر غالب مولى الحكم، وبالغ في خدمته والتنصح له واستعان به على المصحفي (ابن خلدون ، د.ت ، صفحة ٣١٩ ج٤) ، وبعد انتصار ابن أبي عامر وكان غالب قد شاركه بها، ولدى مغادرته ودعه غالب بقوله سيظهر لك بهذا الفتح اسم عظيم وذكر جليل يشغلهم السرور به عن الخوض فيها والتحدث فإياك أن تخرج عن الدار حتى تعزل ابن جعفر عن المدينة وتتقلدها دونه (ابن عذارى ، ١٩٨٧، صفحة ٣٩٤ ج٤) .

وظهرت نتائج هذا التحالف سريعة بعد الانتصارات في الجبهة الشمالية وذلك عندما أمر الخليفة هشام بتحريض من محمد بن أبي عامر (عزل محمد بن جعفر المصحفي) عن حكم قرطبة وتوليتها له. والراجح إن السيدة صبح لم تكن بعيدة عن هذا الاجراء ، وبذلك تم لمحمد بن أبي عامر السيطرة على المدينة والجيش معها، وبعد شيوع الأمر والهدوء، استخلف محمد

بن أبي عامر على حكم المدينة ابن عمه عمرو بن عبدالله بن أبي عامر، فسار على طريقته في انتهاج الحزم والشدة في ضبط الأمور من البغي والعدوان.

في هذا الوقت كان الحاجب جعفر يشهد بزوال سلطانه شيئا فشيئا وسلطان ابن أبي عامر يصعد وشعر بالمصير الذي ينتظره، فحاول إيقاف صعود نجم ابن أبي عامر باستمالة القائد غالب ومصالحته، طالبا يد ابنته أسماء لابنه محمد فاستجاب غالب لطلبه، وكادت تتم المصاهرة لكن سرعان ما علم ابن أبي عامر بذلك المشروع فشارت نفسه وكتب إلى غالب يناشده الولاء ويخطب ابنته لنفسه، فنزل غالب عند تلك الرغبة فارتبط مع ابن أبي عامر برباط المصاهرة حيث تزوج من ابنته أسماء (ابن بسام ، ١٩٤٩، صفحة ٤ ق٤ ج١) (ابن عذارى ، ١٩٨٧، صفحة ٢٧٦ ج٢).

لقد كان غالب بن عبد الرحمن خارج حلبة الصراع السياسي وهو أكثر تعلقا بعمله العسكري، وإن ظل لثقله المعنوي تأثير في ترجيح كفة أحد المتصارعين (ابن بسام ، ١٩٤٩، صفحة ٣٨ ق٤ ج١)[٢]، لاسيما ابن أبي عامر ضد خصمه جعفر وعمد إلى استبدال الحرس الخليفي بعناصر جديدة موالية له، فكانت هذه الخطوة الأولى من قراراته اتخاذ ركائز له في الدولة، لاسيما القصر توصلا إلى تحقيق هدفه القادم (بيضون، ١٩٨٧، صفحة ٣٤٥) .

وأصبح جعفر يشعر شعورا بالخطر المحدق به، وأنه لم يكن له من الحجابة سوى الاسم وأصبح ابن أبي عامر كل شيء في القصر والدولة.

لقد سهل ضعف المصحفي نجاح ابن أبي عامر وسارع لإسقاطه، وصدر مرسوم خلافي بتعيين غالب عبد الرحمن شريكا له في الحجابة (ابن بسام ، ١٩٤٩، صفحة ٤٠ ق٤ ج١) وأحس بأن حليفه القادم يخشى جانبه، فهو يحظى بمساندة نساء القصر، وكذلك غالب بن عبد الرحمن الذي طغى بنفوذه الجديد على صلاحيات المصحفي التي انتقلت إليه تدريجيا .

وازدادت شهرة وشعبية محمد بن أبي عامر عندما جهز الجيش للجهاد في غزوته الثالثة بالاشتراك مع القائد غالب، فاستولت قواتهما على حصن المال، وحصن زنبق وحاصرت مدينة شلمنقه .

واحتلت قوات المسلمين معظم المناطق المحيطة بها وبعد عودة القوات إلى قرطبة منتصرة بادر الخليفة إلى تكريم ابن أبي عامر ولقبه "بذي الوزارتين " ورفع رتبته إلى مرتبة " صاحب الحجابة" التي تولاها مع المصحفي خلال هذه الفترة القائد غالب، وعند استتباب الأمور لابن أبي عامر استكان الحاجب جعفر وأيقن أن النكبة وزوال الحال وانتقال الرتبة، والكف عن

اعتراض محمد بن أبي عامر ومشاركته في تدبير شؤون الدولة ، وأبعد الناس عن الرواح إليه أو التماس خدماته ولم يعد له من الحجابة سوى اسمها ، إلى أن عزل المصحفي وأودع السجن بتهمة استغلال أمور الدولة لشؤونه الخاصة (ابن عذارى ، ١٩٨٧، صفحة ٢٧١ ج٢) (ابن بسام ، ١٩٤٩، صفحة ٤٢ ج١)

وبذلك تفرد محمد بن أبي عامر يشؤون الدولة لوحده بعد فضح المصحفي وهوى نجمه (العسلي، ١٩٧١، صفحة ٣١) ، فسلط عليه محمد بن أبي عامر من يحقد عليه وينتقم منه وصار في غياهب السجن حبيساً (المقري ، ١٩٠٠، الصفحات ٤٠٧-٤٠٨ ج١) ، وأمعن في استجوابه حضور زملائه القدامى فكتب المصحفي إلى ابن أبي عامر يستعطفه ، إلا أنه رفض ولم يتوقف عند حدود إنزال العقاب بخصمه إنما تجاوزه لإنزال العقاب بأولاده وأهله ونسبائه وتوصل بذلك إلى اجتثاث أصولهم وفروعهم (المقري ، ١٩٠٠، الصفحات ٩٠-٩٢ ج٣) وأخذ المصحفي أعواما يعاني خلالها أروع الآلام والإذلال وهو يستعطف ابن أبي عامر فلا يرحمه، حتى مات وزالت بموته أكبر عقبة في طريق ابن أبي عامر، وقد كانت نهايته قاسية ومفجعة ومثيرة إلى أن مات في سجنه، وقيل إنه قتل خنقا أو سماً (ابن عذارى ، ١٩٨٧، صفحة ٢٤٧ ج٢) [٥] ومن الشعر الذي كان يسلي به نفسه في سجنه ويصف ما آلت إليه الأمور من بعد العز مهانة :

صبرت على الأيام لما تولت ... وألزمت نفسي صبرها فاستمرت
يا حبا للقلب كيف اصطبارة ... وللنفس بعد العز كيف استذلت؟
وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى ... فإن طمعت تافت وإلا تسلت
وكانت على الأيام نفسي عزيزة ... قلما رأت صبري على الذل ذلت
وقلت لها نفس موتي كريمة ... فقد كانت الدنيا لنا ثم ولت

لكن بعد مقتله فتح لابن أبي عامر الطريق للوصول إلى القمة، وجعلته يفجر كل موارد غضبه وحقده ضد الذي اعترض سبيله في بداية مشواره.

وبالفعل انتهت هذه المواجهة بين شخصيتين جمعتهما الظروف في مرحلة مع بعض وكل منهما له أهدافه وطموحاته، وليس من الغريب أن يفهم المصحفي أكثر مما يفهمه الآخرون، ولم تنفع محاولة إعاقته والوقوف بوجه طموح ابن أبي عامر الذي إزال جميع العقبات التي تعترض وصوله إلى القمة مستفيدا من وجوده في القصر ومعرفة مراكز القوى، وشعر

بعداوة الجميع للمصحفي والاستفادة من إدارته والتصدي لطموحاته وحشد كل القوى المضادة في خندق واحد وهو القضاء على المصحفي.. والتوجه مباشرة للقوى الأخرى...
وبهذا تكون طويت صفحة المصحفي للأبد وتفرغ العامري لحليفه بالأمس الذي أعانه على المصحفي وعدو اليوم ثاني أهم وأكبر الشخصيات المتصرفة في الدولة غالب الناصري (ابن بسام ، ١٩٤٩، صفحة ٦٧) .

٣-غالب بن عبد الرحمن (العامري):

لم يبقى أمام المنصور لتحقيق سيطرته الكاملة على منافذ الدولة كاملة سوى غالب بن عبد الرحمن والد زوجته، والذي كان يتمتع بسمعة رفيعة في ميدان القيادة العسكرية وعلى مستوى عموم الأندلس، وكان غالب يستطيل بأسباب الفروسية ويباينه بمعاني الشجاعة ويعلوه من هذه الجبهة التي لم يكن لابن أبي عامر بها معرفة (ابن عذارى ، ١٩٨٧، صفحة ٢٧٨ ج٢) [٣]. وبينما كان ابن أبي عامر يعد العدة للمعركة التي ستنشب بينه وبين عمه غالب، كانت العلاقات بينهما لا تزال حسنة في الظاهر ولا تفوته فرصة لإظهار ولائه لغالب ومصانعته ومداراته لكن هذا الجندي المحنك لم يكن ليستمر مخدوعة بمظاهر الملق والمداهنة والاحترام الزائف والولاء المصطنع، واستشف من وراء هذه التغيرات عن غاية بعيدة فزاده ذلك ضيقا بمحمد بن أبي عامر، وكرهاً له ولما استقدم المنصور جعفر لم يبق عند غالب من شك في نبات ابن أبي عامر وإدراك مغزى سىاسته، وعندها أراد أن يمكر به ويستدرجه، فدعاه لزيارته في إحدى غزواته وقد حمل بظاهر مدينة "انىتسه" وأعد له وليمة في إحدى قلاعهما، بعد أن عزم على إستيضاح الأمور من صهره ، فأنفرد به وكان بينهما حوار ثم أسرع في عتابه واحتدم الجدال بينهما واستشاط غالب غضبا فسب ابن أبي عامر وصاح به قائلا: "ىا كلب أنت الذي أفسدت الدولة وخربت القلاع" (ادهم، ١٩٩٤، صفحة ١٠٣) .

ثم سل سيفه لقتل ابن أبي عامر وكسر عليه فضربه وكان بعض الناس قد حبسَ يدهُ فلم تتم الضربة ولكنه أصابه بجراح أبانت بعض أنامله وأثرت أثرا كبيرا بصدغه وفر من أمامه وألقى بنفسه من رأس القلعة فنجا بأعجوبة وكانت من سعده بعد أن نجا من محاولة اغتياله فأحتمله أصحابه وعالجوه، فالتحق بالعاصمة قرطبة واعد قوة خاصة من أتباعه توجهت أولا إلى مدينة سالم مقر غالب فتمت السيطرة عليها (الخطيب، ٢٠٠٤ ، صفحة ٦٢) ، وهي دار غالب وأهله واستولى على سائر أمواله ومتاعه وفرق جيوشه (ابن عذارى ، ١٩٨٧، صفحة ٢٧٩ ج٢) ، في حين اعتصم غالب في إحدى القلاع تحضيرا للمعركة الحاسمة بين الطرفين.

وانتهت هذه المعركة بسقوط غالب ميتاً عن فرسه خلال المعركة ولا اثر لشيء من السلاح في جسده ، ولم يتفق بسبب حتفه (الخطيب، ٢٠٠٤ ، صفحة ٦٤) ، فأختل توازن جيشه بعد موته وولى افراده منهزمين في كل اتجاه (ابن عذارى ، ١٩٨٧، صفحة ٢٧٩ ج٢) (عنان م.، ١٩٩٧، صفحة ٥٣٩ ج٢) ، وبعد موت غالب ، اسرع بعض أصحاب غالب يبشرون العامري فلم يصدق حتى أتوا له بيده وفيها خاتمه ثم جيء برأسه وهنا ازداد جيش المنصور قوة .ولم يعد للعامري ما يخشاه في البلاد ،واستبد بشؤون العباد.

٤- السيدة صبح أم الخليفة:

أدركت السيدة صبح متأخرة خطورة موقف ابن أبي عامر على مستقبل ولدها هشام والخلافة بعد أن سلبهما كل نفوذ وسلطة، فانقلبت إلى خصومه ومقاومته (المقري ، ١٩٠٠، صفحة ٦٠٣ ج١) [١] ، عندها كان من الصعب عليها إزاء حذر ويقظة محمد بن أبي عامر القيام بأي عمل مباشر فلجأت إلى العمل السري .

فدفعت ولدها هشام الطلب من ابن أبي عامر لاسترداد سلطانه منه وتولي مقاليد الحكم بنفسه. ثم عمدت إلى التشهير بابن أبي عامر بواسطة أعوانها والناقمين على تسلط ابن أبي عامر من أركان الدولة ووزرائها بالإشارة إلى أنه يسجن الخليفة الشرعي ويحكم رغم إرادته مغتصب للسلطة.

ورغم محاولة السيدة صبح لإسقاطه بإثارة غالب بن عبد الرحمن صاحب مدينة وتحريضه عليه، إلا أن تحوط ابن أبي عامر وحذره ثم زيادة الإجراءات الأمنية على الخليفة أفشلا خطط السيدة صبح، وأصدر ابن أبي عامر قرارا بعدم السماح لأحد بالدخول على الخليفة إلا بتصريح خاص فابتعد الناس والزائرون عن مدينتي قرطبة والزاهرة (ابن عذارى ، ١٩٨٧، صفحة ٢٧٢ ج٢) .

بعد كل هذه القرارات أضحت السيدة صبح والدة الخليفة المعتقل المحروم من كل حقوقه وسلطانه من ألد خصوم ابن أبي عامر وأخطرهم، خاصة بعد أن عمد إلى اتخاذ ألقاب السيادة والملك وخوطب بالملك الكريم كما بولغ في تكريمه وتعظيمه في سائر المخاطبات عندها شعرت بأن الوضع لم يعد يحتمل وأن الضربة القاضية أضحت وشيكة فعقدت العزم على أن تضاعف العمل في سبيل حماية ولدها وتحريره من قبضة المنصور (الخطيب، ٢٠٠٤ ، الصفحات ٦٤-٦٥ ج٢) .

لقد كانت السيدة صبح القوية خصما جديرة بمنازلة المنصور إلا أن اكتشاف المنصور لسياستها في الوقت المناسب أضاع عليها فرصة الاستفادة من الأموال وإخراجها وصادرها ونقلها إلى قصره ، وأعلمها أن الخليفة مشغول على حفظ الأمور بأنهماكه في العبادة وأن إضاعتها آفة على المسلمين وأثار بنقلها إلى حيث يؤمن عليها فيه.

بعد ان فشلت السيدة صبح في محاولتها إسقاط ابن أبي عامر وجاءت النتيجة قاسية، وتوطدت سلطات المنصور وسحق التبعية الباقية من خصومه ومعارضيه، وأيقنت السيدة صبح أن مقاومة المنصور عبث، وأنه لا منفذ لولدها من ذلك النير الحديدي.

أما السيدة صبح التي دافعت عن أموال القصر وعجزت عن إخراجها، فقد أجتمع المنصور بالخليفة معترفا بفضل المنصور وفنائه في حفظ قواعد الود له فخرست ألسنة الأعداء والحسدة، ثم تبع ذلك زيادة الحجر على الخليفة وعزله وفرض عليه رقابة صارمة ، في حين لجأت والدته إلى السكينة والعزلة بعدما تأكدت من عجزها على تحرير ولدها من سلطة ووصاية المنصور ولم تعد تسمع عنها بعد ذلك في سير الحوادث.

المبحث الثالث : (حكم محمد بن ابي عامر في ضوء التحديات وأساليب المعالجة) :

اولاً : التحديات الداخلية واساليب المعالجة :

سارت تدابير المنصور العامري بشكل دقيق حدده برغبته لغرض معالجة التحديات التي قد تؤثر على العمل الذي يرغب بتحقيقه ومن هذا اقدم على حجر الخليفة ومنعه من كل تدبير حتى لم يعرف له " إلا اسم السلطان في السكة والدعوة" (ادهم، ١٩٩٤، صفحة ٨٥) كذلك حصن قصر الخليفة بالسور والخندق المطبق من جانبه، وكذلك بأبوابه الوثيقة التي منعت الوصول اليه إلا بإذن منه. فإن تجاوز أحد من الناس أو أصحاب الشأن في الدولة هذا الحمد عاجله ونكل به، فلم يكن ينفذ للخليفة أمر في داره ولا عن حرسه الخاص إلا بإذن المنصور وتوجيهاته وكان لا يخفى عليه خافية من حركات الخليفة وسكناته، ثم إن قرار المنصور بعدم السماح لأحد بالدخول على الخليفة إلا بتصريح خاص منه، فابتعد الزائرون والناس عن مدينتي قرطبة والزهراء" (ابن عذارى ، ١٩٨٧، صفحة ٢٧٢ ج٢) (ابن الخطيب ، ١٤٢٤)

وكان السماح للخليفة بالظهور بمناسبات معينة وذلك للرد على تقولات المروانيين وبعض الإشاعات التي تبث بالعاصمة عن سجن الخليفة بقصره، وعدم السماح له بالظهور وسط العامة (الخطيب، ٢٠٠٤ ، صفحة ٣٦) قد يكون الأمير هشام قاصراً عقلياً، وقد تكون العزلة التي

فرضت عليه ساهمت في هذا القصور، إلا أن الثابت أن الحاجب المنصور قد استفاد من مجموعة الظروف ووجهها لمصلحته.

وهنا يمكن ان نقول ان محمد بن أبي عامر هو أبرز شخصية أحاطت بالخليفة الصغير هشام بعد موت الحكم، قدر لها أن تضطلع بأعظم قسط في توجيه مصالح الأندلس، ويصح صاحب السلطة المطلقة وبعبارة أخرى يمكن ان نقول ان محمد بن أبي عامر الذي لقب بالمنصور هو "دكتاتور الاندلس" (الترك، ١٩٧٢، صفحة ١٦٠) .

وظل الأمير هشام المؤيد اسماً مجرداً في سلسلة خلفاء الاندلس ورمزاً تمارس بأسمه جميع السلطات لاكتساب السلطة الشرعية فأشاع محمد بن أبي عامر أن السلطات تخوله النظر في الرعاية حتى اطمأنوا إليه (ابن عذارى ، ١٩٨٧، صفحة ٢٧٨ ج١) ، فكان حجب الأمير هشام على هذا المحور عماد ذلك الانقلاب العظيم الذي اعتزم المنصور أن يحدثه في نظم الدولة في الاندلس لتمكين سلطانه وجمع سلطان الخلافة كلها في يده .

ثانياً-التحديات الخارجية التي واجهت المنصور اثناء حكمه وطرق الاستجابة :

١-إستجابته لتحدي الممالك الاسبانية في الشمال :

سارت خطوات المنصور استجابة للتحديات الخارجية على قدر كبير من المواجهة وبقدر التحدي الذي واجهته الدولة حينها ولهذا قاد مايقارب اثنين وخمسين معركة دمر خلالها الكيانات وقضى على حكامها وملوكها ومزق قواتهم المقاتلة ، إلا أن الصراع كان مستمرا وبمعدل أكثر من صائفة وشاتية في العام الواحد، وهذا يعني بكلمة أكثر وضوحا أن إعلان الحرب من قبل الكنيسة لم يكن إلا نتيجة لهذه المقاومة القوية والمتعاظمة للمسلمين في الأندلس بقيادة المنصور، لكن عجز المقاومة، وعدم التعاون فيما بينها سهل الأمر أمام الكنيسة بما يتوافر لها من إمكانات مادية وقدرة معنوية على ملئ هذا الفراغ القيادي، وتوجيه الفعاليات الحربية كلها في اتجاه واحد للعمل ضد المسلمين، وإن دور كنيسة قرطبة في التحريض ضد المسلمين قد ظهر منذ الأيام الأولى للحكم الأموي في الأندلس، غير أن هذا الدور كان محدود بسبب قوة المسلمين و شدة عصبيتهم، ولما تعاظمت قوة المقاومة أمكن للكنيسة ممارسة دور أكبر، وذلك بالانتقال من العمل السري إلى العمل العلني ومن دور التحريض على الفتن الى الإشهار بالحرب الشاملة، ويظهر أن الكنيسة قد تكيفت في كل مرحلة من المراحل مع ما تتطلبه مناسبة العمل، وتركز الجهد على منع المسيحيين من الدخول إلى الإسلام، ومقاومة العروبة والإسلام،

ثم تطوير الصراع باستثارة المولدين وسواهم من الذين اشهروا إسلامهم منذ الأيام الأولى للفتح (ابن عذارى ، ١٩٨٧، صفحة ٢٥٠ ج٢) .

وقد خاض الحاجب المنصور صراعا صعبا طوال حياته وهو يرفع راية الجهاد في سبيل الله ويدرك بوعي تام أخطار السيل القادم من الشمال، وأمكن له توحيد جهد مسلمي الأندلس كلهم فاستطاع إقامة سد قوي في وجه الطوفان المتدفق عبر ممرات الجبال ، وهذا ما حفزه إلى التفكير بعبور هذه الجبال، بعد أن أمكن له القضاء على كيانات النصارى في الأندلس من شمال الأندلس.

ولما كانت التحديات الخارجية كبيرة عمل الحاجب المنصور في توفير عاملين أساسيين هما:

-التصعيد

-والاستمرار

وهما ارتبطا دائما بالتكوين الداخلي للمجتمع الإسلامي والقدرة على توحيد الجبهة الداخلية لذلك عمل الاخير على بناء القاعدة القوية والصلبة من خلال إعادة التنظيم الشامل لأقاليم الأندلس وحشد كل القوى والامكانات ضد العدو الخارجي، وتوحيد كل القدرات المتوفرة تحت راية الجهاد في سبيل الله ، فعاد بذلك لتأكيد الجدلية الثابتة بين الانتصارات الخارجية والداخلية، وبطريق قيادته لكل الغزوات بنفسه أو عن طريق تكثيف الأعمال القتالية بأكثر من صائفة وشاتية في السنة الواحدة، وكان أمراء الأقاليم وحكام المدن مرغمين على مجاراة الحاجب المنصور بالخروج معه للجهاد ، فصرف تفكير الجميع بالحرب والاستعداد لها ، وكانت انتصاراته الخارجية بفضل رؤيته واستعداده لحشد القوى ، وبفضل الكفاءة القيادية لقواته ، وهذا الانتصار ينعكس بديهيا على الجبهة الداخلية فيزيدها تماسكا وتلاحما .

هذه الخطوات ساعدت الحاجب المنصور لصرف أنظار القادة بالأندلس وحكامها من تفرده بالحكم والإجهاز على الشرعية، والأعمال التي قام بها بلا شك إنما عززت مكانة العرب المسلمين، ورفعت قدر الإسلام ودعمت من قدر أندلس المسلمين، وأضعفت من كيانات "نافار وليون"، بل أنها قضت عملياً على هذه الكيانات (العسلي، ١٩٧١، الصفحات ١١٤-١١٨) .

٢-إستجابته لتحدي قيام مملكة ليون :

تواصلت التحديات الخارجية والمتمثلة بتحالف ملوك المسيحية ضد المسلمين، وأن هذا الحلف يتألف من ردميرة الثالث، وقومس قشتالة غرسية (Garcia Fernandez)، وملك بنبلونة شانجة (Sancho Abarca)، فأسرع ابن أبي عامر بالسير إلى طليطلة ووصل إلى

وادي دويرة الأوسط حيث كانت تتجمع القوات المسيحية والتحم الجيشان في رويدة في أغسطس سنة٣٧٠هـ/ ٩٨١ م، في مقاطعة بلد الوليد على بعد ٢٥ كلم من جنوب غربي شنت مانكس (Simancas) ، ودارت الدائرة على قوات أسبانيا المسيحية مجتمعة (الخطيب، ٢٠٠٤ ، صفحة ٧٤) ، وعندما عاد إلى قرطبة عقب هذه الغزوة تلقب بالمنصور.

وفي غزوته الثالثة والعشرين أغار على برشلونة وكان يحكمها بوريل الثاني منذ عام (١٩٥٤)، وخرج المنصور من قرطبة في سنة ٣٧٤ هـ /١٩٨٠ ومر بألبيرة وبسطة ومرسية ثم اتجه المنصور شمالا وسار بمحاذاة الساحل الشرقي، وهزم بوريل الثاني في عدة مواقع وواصل زحفه حتى وصل إلى أسوار برشلونة، وخربها وأضرم النيران في المدينة واستولى عليها (Bleye, p. 506) .

وفي غزوته الثامنة والأربعين استخدم أسطوله وهو يحمل المشاة والأسلحة، من ميناء قصر أبي دانسس على ساحل غرب الأندلس، وعبر به هر دويرة بالبرتغال، ونزل بشنت ياقوب في سنة (٣٨٧هـ / ٩٩٧م) ، وعندما وصل إلى سانتياغو وجدها خالية من السكان الذين هربوا خوفا، فأمر بتدميرها وتدمير كنىستها بغرض تحطيم أسطورة سانتياغو الحربية الذي أطلق عليه الإسبان كلمة (Matamoras) أي قاتل المسلمين، وتقول الأسطورة أنه كان يخرج مع المحاربين الإسبان على شكل ملاك بيده سيف ويمتطي فرسا أبيض لينصرهم على المسلمين، علما أن سانتياغو (سان جاك) هو القديس يعقوب أحد الحواريين الإثني عشر للسيد عيسى المسيح عليه السلام، لذلك حافظ المنصور على مقام هذا القديس احتراما للتقاليد الإسلامية، وعاد إلى قرطبة محملا بالأسرى والغنائم (العبادي، د.ت، الصفحات ٢٣٢-٢٣٣) ، وكانت غزوته المعروفة بغزوة جربيرة سنة (٣٩٠ هـ / ٩٩٩ م)، أشد غزواته وأغلظها ، كرها فلقد تقاطرت عليه جيوش النصارى وتجمعت إليه من كل مكان، فاقتحم المنصور قشتالة من جهة، مدينة سالم واشتبك مع ملوك الجلالة من بنبلونة إلى استرقة، ومعهم شانجة ملك قشتالة، في موقعة جربيرة، وهزمهم هزيمة نكراء (الخطيب، ٢٠٠٤ ، الصفحات ٧٩-٨٠) .

ونتيجة لهذه السياسة الهجومية المكللة دائما بالانتصارات اكتسب المنصور شعبية كبيرة داخل الأندلس (شبارو، د.ت ، صفحة ١٩٧) ، وأمر بالدعاء له (عقب الدعاء للخليفة) على المنابر، وجلس على سرير الملك، ومحا رسوم الخلافة، ولم يبق للخليفة هشام المؤيد من هذه الرسوم الخلافية سوى الدعاء من على المنابر , ومن هنا بدا خطواته ببناء الحضارة الخاصة

بدولته الناشئة في رحم الخلافة الاموية مستثمرا كل التحديات التي واجهته لصالحها من خلال استجابات شجاعة اوصلته للمستوى المطلوب .

الخاتمة :

يمكن من خلال البحث الوقوف على نتائج عدة منها :

- يمكن القول على سبيل المقارنة انه تحققت رؤية توينبي في بناء الحضارة من الدين في الجذور المعرفية للمنصور العامري من خلال دراسته بالعلوم الشرعية على يد علماء افذاذ في ذلك الوقت فضلا عن ذلك ان والده كان عالما بالحديث والشريعة .
- اهمية وجود الشخصية المبدعة التي تطرق اليها توينبي في نظريته لخلق الحضارة الجديدة وعندما تطرقنا للمنصور وخطواته وجدنا هذه الشخصية التي تحدت تلك العقبات وبدات بازالتها الواحدة تلوا الاخرى حتى اقام الدولة العامرية , حيث رايناه قد استثمر التحديات البشرية الصعبة لصالحه في كل استجاباته الناجحة بدا من تقربه لحاشية القصر ولاصحاب القرار فيه وعلى الخصوص سيدة نساء القصر السيدة صبح البشكنسية التي كانت في المراحل الاولى الداعم الاساس لشخصية المنصور المبدعة في كل افعاله واعماله.
- تنوعت استجابات المنصور مع التحديات المختلفة التي واجهة طموحاته حيث تعامل بدراية وحكمة بالرغم من وجود شخصيات بارزة في الدولة مثل جعفر بن عثمان المصحفي كبير الوزراء ، وكذلك دوره في اختيار الحكم ولده هشام المؤيد وكان عمره إحدى عشرة سنة وثمانية أشهر، على الرغم من وجود أخوته المؤهلين لمثل هذا المنصب ومع فرض محمد بن أبي عامر الاجبار على الخليفة الطفل ولم يعد من سلطات الخلافة غير الاسم وانتقل حكم الدولة من الأسرة الأموية إلى أسرة أخرى هي الأسرة العامرية .
- كانت أهم المؤثرات على شخصيته التأثير الديني وحبه للجهاد في سبيل الله وعدم خلافه مع أهل العلم في ذلك الوقت، وقد بدأت تظهر شخصيته عند دخوله القصر وتقربه من السيدة صبح، وكان دائما يردد: الملك لا ينام إذا نامت الرعية ولولا استوفيت نومي، لما كان في دور هذا البلد العظيم عين نائمة.

- لاشك بأن المنصور بن أبي عامر كان شخصية فريدة تتميز بعبقرية فذة، تمثل ذروة النبوغ والطموح للوصول إلى أعلى المراتب، وقد وصل إلى مرتبة من السلطان والقوة لم يصلها أحد من أمراء الأندلس. حتى يمكن القول بأنه ألمع صورة في تاريخ أسبانيا المسلمة، فقد استطاع بموهبته أن يدرك أنه يجب أن يكون للأندلس قوة عسكرية عظيمة تكفي لإرهاب عدوها.ولجأ إلى رفع راية الجهاد ولتأديب النصارى، وأنزل به الخسائر وأنذرهم بأوخم العواقب أن فكروا بمهاجمة البلاد، وكما كان في كل مرة يعود محملا بالغنائم، حتى دانت له البلاد الأسبانية فتعلقت, وإن كانت في الأصل تنطوي على غاية عسكرية وسياسية بعيدة المدى وهي سحق أسبانيا النصرانية وكف عدوانها عن الأراضي الإسلامية .

قائمة المصادر والمراجع

اولاً: المصادر

-القرآن الكريم:

١-ابن الابار: محمد بن عبد الله القضاعي (ت ٦٥٨هـ/١٢٦٠ م).

- الحله السيراء، تحقيق: د.حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، (القاهرة، ١٩٩٣م).

٢-ابن الاثير: عز الدين أبو الحسن علي بن احمد بن أبي كرم الجزري (ت ٦٣٠ هـ/١٢٣٣م).

- الكامل في التاريخ ، دار صادر ، (القاهرة ، ١٩٦٣) .

٣-ابن الخطيب: لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م).

- الإحاطة في أخبار غرناطة ، دار الكتب العلمية ، (بيروت - ١٤٢٤ هـ) .

- اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام. تحقيق: ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية ، (القاهرة ٤ ٢٠٠ م).

٤-ابن بسام: أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢ هـ/١١٤٧ م).

- الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، (القاهرة - ١٩٤٩) .

٥- ابن بشكوال : أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (ت ٥٧٨ هـ / ١١٨٣ م).

-الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ، تحقيق السيد عزت العطار الحسيني ، الناشر مكتبة الخانجي ، (القاهرة – ١٩٥٥ م) .
٦-ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٤م).
- جمهرة انساب العرب، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ٢٠٠١م).
٧-ابن حيان: أبو مروان حيان بن خلف ابن حيان (ت ٤٢٧ هـ / ١٠٧٥ م).
- المقتبس في اخبار بلاد الأندلس، تح: عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة (بيروت، د. ت).
٨-ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م).
- العبر وديوان المبتدأ والخبر ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت-د.ت)
٩-ابن عذاري: أبو العباس احمد بن محمد (ت ٧١٢هـ/١٣١٢م).
- البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق: ليفي بروفنسان وكولان(بيروت – ١٩٨٧) .
١٠-ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤ م)
- معجم مقاييس اللغة ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر، (بيروت- ١٩٧٩م).
١١-ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين (ت ٧١١ هـ / ١٣١١م).
- لسان العرب ، دار إحياء التراث العربي،(بيروت – د.ت) .
١٢-أبو الفداء: إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م).
- المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحديثة ، (القاهرة، د.ت).
١٣-اثير الدين: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان (ت ٧٤٥هـ / ١٣٤٤ م).
البحر المحيط في التفسير ، تحقيق: صدقي محمد جميل ، دار الفكر ، (بيروت ، الطبعة 1420 هـ) .
١٤-الازهري: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي ، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ/ ٩٨٠ م).
- تهذيب اللغة ، تحقيق: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت-٢٠٠١م).
١٥-التجاني: أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد الشريف التجاني (ت ٧٢١هـ/١٣٢١م).
- رحلة التجاني ، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب ، (تونس- ١٩٨٥م).
١٦-الحموي: ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله الرومي (ت ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٩م).

-معجم البلدان ، دار صادر ، (بيروت – د.ت) .
١٧-الحميري: نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (ت ٥٧٣ هـ / ١١٧٨ م).
– شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، تحقيق د.حسين بن عبد الله العمري ، مطهر بن علي الإرياني و د يوسف محمد عبد الله ، دار الفكر (دمشق – ١٩٩٩ م) .
١٨-الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي شمس الدين (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٧٤م).
– سير اعلام النبلاء ، شعيب الارنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة ، (بيروت- ١٩٨٢ م) .
١٩-الرّازي: أبو عبدالله، محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن التميمي (ت ٦٠٦هـ / ١٢١٠ م).
مفاتيح الغيب ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ٢٠٠٠ م) .
٢٠-الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت ٦٦٠هـ/١٢٦١م).
– مختار الصحاح ، تحقيق: يوسف الشيخ محمد ، المكتبة العصرية ، الدار النموذجية للطباعة والنشر ، (بيروت – د.ت) .
٢١-السمعاني: عبدالكريم بن احمد بن منصور (ت ٥٦٢هـ / ١٠٩٦م).
– الانساب ، تحقيق محمد احمد حلاقدار، احياء التراث العربي، (بيروت ١٩٩٩م).
٢٢-الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (١٢٥٥ هـ – ١٨٣٩م).
-فتح القدير – دار ابن كثير، (بيروت – ١٤١٤ هـ) .
٢٣-الضبيّ: أبو جعفر أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبيّ (ت ٥٩٩ هـ / ١٢٠٣م).
– بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، تحقيق: ابراهيم الابياري ، دار الكتاب اللبناني (بيروت، ١٩٨٩م).
٢٤-الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب (ت ٣١٠ هـ – ٩٢٣ م).
– تفسير الطبري ، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر, (بيروت – د.ت) .
٢٥-القلقشندي: شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد (ت ٨٢١ هـ /١٤١٨م).
-صبح الاعشى في صناعة الانشاء ، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر، (القاهرة، د.ت).

٢٦-الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م).

- اعلام النبوّة ، دار ومكتبة الهلال ، (بيروت - ١٤٠٩ هـ) .

٢٧-المراكشي: هو محيي الدين عبد الواحد بن علي التميمي (ت ٦٤٧ هـ / ١٢٥٠ م).

- المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، تحقيق: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، (القاهرة، ١٩٤٩م).

٢٨-المقري: احمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١ه/١٦٣١م).

- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق احسان عباس ، دار صادر ، (بيروت ، ١٩٠٠) .

ثانيا :المراجع :

١-ابن عاشور , محمد الطاهر

- التحرير والتنوير : الدار التونسية للنشر، (تونس- ١٩٨٤) .

٢-ادهم , علي

- منصور الاندلس – الهيئة المصرية العامة للكتاب للطباعة والنشر (القاهرة -١٩٩٤) .

٣-الاعرجي , حسين نور

- تاريخ العراق القديم في ضوء نظرية التحدي والاستجابة: فلسفة في التاريخ القديم , عالم الكتاب , (بيروت -د.ت) .

٤- بدر ,احمد

- الحضارة العربية الإسلامية – مطبعة دمشق , (دمشق - ١٩٨٢) .

٥-بكار , عبد الكريم

- المسلمون بين التحدي والمواجهة نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي الناشر: دار القلم ،٢٠١٥ .

٦-بيضون , إبراهيم

- الدولة العربية في إسبانيا – دار النهضة العربية ،(بيروت ،١٩٨٧) .

٧-الترك , عفيف

- تاريخ المغرب والاندلس ، دار كريدية للطباعة والنشر ، (بيروت ، ١٩٧٢) .

٩- حسن , ساجد مخلف

– لسان الدين بن الخطيب وجهوده التاريخية في كتابه اعمال الاعلام قسم الاندلس والمغرب، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة تكريت، كلية التربية (تكريت، ٢٠٠٦م) .

١٠–الخالدي , محسن سميح

– التحدي بالقرآن الكريم ، دار الكتاب العربي , (بيروت – د.ت) .

١١–الحجي , عبد الرحمن

– التاريخ الاندلسي : من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (٩٢ –٨٩٧ هـ / ٧١١ – ١٤٩٢ م) ، نشر دار القلم ، ١٤٠٢ – ١٩٨١ م.

١٢–الددو , محمد الحسن

– سلسلة الأسماء والصفات المؤلف ، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلاميةhttp://www.islamweb.net ، شريط ٦ .

١٣–الرومي , فهد

– دراسات في علوم القرآن، الناشر: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف الطبعة: الثانية عشرة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م

١٤–رياض , فاطمة نتاج

– الجامعة ومواجهة التحديات التكنولوجية , دار الفكر , (بيروت – د.ت) .

١٥–سالم ,عبد العزيز

– المسلمون وآثارهم في الأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع, (بيروت ٢٠٠٨).

١٦–السامرائي ,عبد الحميد حسين

– تاريخ الجهاد الاسباني في الاندلس، دار شموع الثقافة (ليبيا، ٢٠٠٣) .

١٧– السامرائي , خليل إبراهيم وعبد الواحد ذنون طه ، وناطق صالح مطلوب

– تاريخ العرب وحضاراتهم في الاندلس ، دار الكتب الجديد المتحد ،(بيروت–٢٠٠٠).

١٨– شبارو , عصام محمد

– من الفتح العربي المرصود الى الفردوس المفقود (٩١–٨٩٧ هـ/ ٧١٠– ١٤٩٢ م) , دار الغرب الاسلامي , (بيروت – د.ت) .

١٩–الصوفي , خالد

- تاريخ العرب في اسبانيا ،دار الفكر , (حلب، ١٩٩٣م) .

٢٠-الطباطبائي , محمد حسين

- الميزان في تفسير القرآن ،مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ،(بيروت – ١٩٩٧)

٢١-الطنطاوي , مصطفى

- تطوير برنامج إعداد معلم العلوم بكليات التربية على ضوء تحديات القرن الحادي والعشرين دراسة تربوية واجتماعية , دار النهضة , (بيروت – د.ت) .

٢٢-العبادي , احمد مختار

- في التاريخ العباسي والاندلسي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،(بيروت، ١٩٧١م).

- في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعة (الاسكندرية، د. ت).

٢٣-العسلي , بسام

- الحاجب المنصور ، الطبعة الأولى ، دار النفائس (بيروت – ١٩٨٠).

٢٤-عمر , احمد مختار

- معجم اللغة العربية المعاصرة ، بمساعدة فريق عمل الناشر :عالم الكتب (بيروت ــ 2008 م).

٢٥-عنان , محمد

- تراجم اسلامية , دار النهضة العربية (القاهرة، ١٩٤٧م).

- دولة الإسلام في الاندلس ، الناشر: مكتبة الخانجي ، (القاهرة – ١٩٩٧)

- الدولة العامرية وسقوط الخلافة الأندلسية , مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية , (القاهرة – د.ت) .

٢٦-القحطاني , سعيد

- شرح أسماء الله، مطبعة سفير – (الرياض – د.ت)

٢٧-القطان , مناع

- مباحث في علوم القرآن، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الطبعة , (بيروت – ٢٠٠٠م) .

٢٨- مصطفى , إبراهيم و احمد الزيات و حامد عبد القادر و محمد النجار.

- المعجم الوسيط، نشر دار الدعوة , (القاهرة – د.ت)

٢٩-مكي , محمود علي

- موسوعة المفاهيم الإسلامية، حرف الحاء، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف جمهورية مصر العربية , (القاهرة – د.ت) .

٣٠- مؤنس , حسين

- رحلة الاندلس ،(القاهرة - ١٩٩٣م) .

- معالم تاريخ المغرب والأندلس ،(القاهرة- ٢٠٠٤م) .

٣١-الميداني , عبد الرحمن حبنكة

- الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، بحث مقدم لمؤتمر الفقه الإسلامي المنعقدة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (الرياض - ١٣٩٦هـ) .

٣٢-نجم , زياد عبد الكريم

- توينبي ونظريته التحدي والاستجابة(الحضارة الإسلامية انموذجا) ، الهيئة العامة السورية للكتاب ، (دمشق -٢٠٠٩ م)

٣- المراجع الأجنبية:

1-Levi-provencal: op.cit.
2-Aguado Bleye, Manuel de Historia de Espana.
3-Dosy, Reinhart: Histoire des Musulmans-d'Espagne.Leyde. 1932. Vol.11.